

الفصل العاشر:

الضائقة

عن الغابات

والقرى

وجراح الجسد

في تلك الليلة، ظلت بي ناريا مستيقظة لا يغمض لها جفن وهي تفكر في كل ما حدث.. تفكر في مانيم، الذي لم يكتف بتحطيم حياتها، بل استغل اسمها واسم والدها لتحطيم حياة العشرات والآلاف من المسالمين في هيمانيا.. وهي حقاً تستحق الاتهام لأنها عميت عن رؤية حقيقته.. ورغم أن المستشار حذرها بكلمات مبهمة، لكنها لم تتعب نفسها في تقصي الحقائق لتُجَنَّب نفسها وشعبها هذا الظلم.. بدت لها مأساتها لا تقارن بمأساة هارولان الذي فقد كل شيء، وكل من أحبهم.. ومع هذا كانت تراه في الوكر دائم الابتسام والضحك مشيعاً البسمة من حوله.. الكل أحبه والكل اعتبره كمثل أعلى في تحمل المصاعب والمضيّ قدماً.. أما هي فقد عاملت الكل بجفاء، ومنذ خسرانها لجميع ما تملكه فقد تزايد جفاؤها وتكبرها على الآخرين.. وكأنها تستحق معاملة خاصة لمجرد أنها هي..

لم يحبها أحد قط لذاتها، بخلاف والديها الذي كان حبهما غير مشروط.. وبخلاف هارولان الذي تخلى عنها فور معرفته لشخصيتها، إثباتاً أنها كبي ناريا لا تستحق أي حب أو احترام.. تنهدت بي ناريا بمرارة وهي تتأمل السماء السوداء فوقها عندما سمعت خطوات تقترب منها.. التفتت أملاً في أن ترى هارولان يقترب منها كعادته، لكنها رأت الرئيس يقف غير بعيد عنها قائلاً "لقد وافق الأغلبية على مرافقتك لنا شرط أن تعاونينا بالشكل الذي ذكرته.. ولو كانت هذه خدعة منك فأنا لن أحميك من غضبة رجالي.."

قالت بي ناريا بهدوء "أعطيك كلمتي كملكة سابقة.. ستحصلون على الخرائط فور وصولنا إلى القصر.."
هز رأسه موافقاً واستدار ليغادر، لكنها سألته "وهارولان.. هل وافق؟"
قال وهو يبتعد "سيرضخ في النهاية.."

ملأها الحزن وهي تفكر فيه من جديد.. كيف تمسح الماضي؟.. لو استطاعت أن تستبدل مُلكها بعائلته التي قتلت لوافقت على الفور.. فملكها الآن لا يساوي في نظرها بسمة ترتسم على شفطي هارولان.. تنهدت من جديد وهي تحاول الاستسلام للنوم ملقية بنظرة على جوين التي نامت غير بعيد عنها.. أما الجنديين فقد تناوبا على حراستها بصمت.. فأغمضت بي ناريا عينيها وهي تسلم عقلها لنوم إجباري استعداداً للغد.. كان موقع بي ناريا متطرفاً عن البقية لذلك لم ينتبه الثوار للحركة الخافتة التي دارت هناك بعد انتصاف الليل بقليل.. صوت شهقة مكتومة تصدر غير بعيد عن موقعها.. وصوت جسد هامد يلقى خلف إحدى الأشجار.. وصوت خطوات تتسلل مستغلة الظلام ونوم الجميع.. وبعدها صوت شهقة بي ناريا المكتومة وهي تشعر بمن يكبل حركتها ويضع منديلاً برائحة قوية على أنفها وفمها.. وقد تسببت شهقتها لدى استيقاظها فزعة في تنشق المزيد من المادة التي خدرت جسدها بسرعة وعقلها يغيب عن الوعي خلال لحظات..

تلقت صاحب المنديل حوله متاكداً أن جوين تغط في النوم، ثم حمل بي ناريا على كتفه مغادراً بصمت كما جاء.. وبعد فترة لا يعلمها أحد، تململت جوين في نومها والبرد يتسلل من ثنانيا معطفها، وفتحت عيناها المغمضة

لتلقي نظرة على بي ناريا القريبة منها.. ولما رأت موقعها خالياً نهضت جالسة بتوتر متلفتة حولها، ثم أسرعَتْ تبحث عن الجنديين لتسألهم إن رأيا بي ناريا تغادر موقعها..

وفي المعسكر الهادئ، حيث تجمع بعض الثوار ممن بقي مستيقظاً، راعتهم تلك الصرخة العالية التي انطلقت من موقع بي ناريا.. فهبوا إلى هناك ليجدوا الوصيصة ترتجف وهي تتطلع إلى جسد أحد الجنديين الملقى خلف شجرة قريبة وقد تحطمت رقبته تماماً.. تجمد الجميع وهم ينظرون للجثة وقد أخذتهم المفاجأة، فيما التفتت الوصيصة إليهم صائحة "أين مولاتي؟"

قال الرئيس وهو يتفحص الجندي القتيل "لم نرها منذ غادرتنا.."

صاحت بإلحاح "استيقضت فلم أجدها في الجوار.. ولم أجد الجندي الآخر.. أين هي؟"

وسألت هارولان الذي اقترب من موقعهم "ألم ترها؟ ألم تأت إليك؟"

هز رأسه نفيماً وهو يتأمل ما جرى، فصاحت جوين وهي ترتجف "لقد اختُطفَتْ.. اختطفها الجندي الحقيق، رغم أنه أقسم على الولاء لها"

وهبّت إلى هارولان متوسلة "ابحث عنها أرجوك.. إنه سيقتلها ولاشك"

ابتعد الرئيس بعدد من رجاله وهو يقول لهم "مشطوا الجوار بحثاً عنهما على ظهور التوكور، فلا يمكن أن يكونا قد ابتعدا.. جثة الجندي الآخر لا تزال دافئة فلا بد أنه قتل منذ مدة قصيرة.."

اقترب أحد الرجال من الرئيس قائلاً "لقد سُرق توكور من الذين حضر بهم رجالنا بالجنديين والوصيصة.. ويبدو أنه كان حذراً وتغافل رجالنا الذين يراقبون المنطقة بمهارة.."

قال الرئيس "مهما يكن، تظل حركته بطيئة ويمكننا اللحاق به.. هارولان....."

لكنه رأى هارولان يسبقه بالفعل وهو يمتطي ظهر توكور آخر وينطلق بصمت، فأشار الرئيس لأربعة من رجاله "انطلقوا أنتم أيضاً لتمشيط الاتجاهات الأخرى.. اقتلوا الجندي دون تفاهم واحرصوا على سلامة بي ناريا.."

انطلق الرجال كما أمرهم، بينما تنهد الرئيس قائلاً "كان يجب أن أتوقع هذا.."

في وقت لاحق، انتبهت بي ناريا من غيبوبتها لتجد أنها ملقاة على ظهر التوكور الواقف بصمت وسط الغابة التي انتشر فيها النور الوليد.. لم تدر كم دامت بها الغيبوبة، لكن بدا أن عدة ساعات قد مرت منذ فوجئت باليد التي قامت بتخديرها.. وجدت يديها مقيدتين بحبل غليظ ولم تر أحداً جوارها.. حاولت النهوض والاعتدال مما تسبب في سقوطها أرضاً سقطتة مؤلمة.. فحاولت النهوض واقفة بسرعة لكنها فوجئت بالسلح الذي لمس صدغها، وأحد الجنديين اللذين حضرا مع جوين ينظر لها بابتسامة مغمغماً "صباح الخير يا مولاتي.. أرجو أن تكون رحلتنا مريحة بالنسبة لك"

سألته مقبلة تخفي قلقها "ما الذي تنوي فعله؟"

أجاب "ما طلبه مني مولاي مانيم.. أن أستعيدك وأعيدك إليه مهما يكن.."

فقال بتوجس محاولة استغلال الوقت بالتفكير في وسيلة للهرب "ولماذا لم تفعل هذا منذ الليلة الأولى لوصولك؟"

هز كتفيه مجيباً "الأوغاد جردوني من سلاحي.. لذلك تأخرت حتى استطعت سرقة هذا السلح والتوكور دون

أن ألفت الانظار.. الأهم من هذا...."

وضغط السلاح على وجهها أكثر مضيئاً "مولاي في الواقع لم يطلب عودتك حية، بل اكتفى بطلب رأسك.. وهو أخف حملاً من إحضار جسدك كله إليه، وأكثر ضماناً.. أليس كذلك؟"

قالت بصوت مرتجف "لست تجرؤ..."

مط شفتيه معلقاً "بالفعل.. إطلاق النار على رأسك قد يغير معاملته فيتهمني الملك بالكذب"

وحرك السلاح إلى موضع قلبها مضيئاً "هكذا أفضل.. أليس كذلك؟"

بدافع من الذعر غير المتعقل، لطمت بي ناريا السلاح بعيداً بقبضتي يديها المربوطتين، وركلته في ساقه بأقوى ما تستطيع لتتسبب في سقوطه، ونهضت في الآن ذاته مستغلة الفرصة الوحيدة لديها لتركض بعيداً وقلبها يطرق بشكل متسارع ليزيد ذعرها.. أما الجندي فقد نهض متناولاً السلاح وهو يصيح "نكتة جيدة.. سنرى إن كانت ستضحك أحداً.."

وامتطى التوكور ليلكزه فيجري خلفها وسط الغابة.. أما بي ناريا فقد ركضت بأسرع ما تستطيع وسط الاشجار الكثيفة وهي تبحث عن طريقة للاختباء أو التغلب عليه.. كان كلا الحليين عسير التحقيق ويأسها يتزايد وهي تسمع حوافر التوكور تقترب منها بسرعة حثيثة.. وسمعت طلقة طاشت قريباً منها مما دفعها لتهمس بذعر من بين أنفاسها المتقطعة "ماذا أفعل.. ماذا عساي أن أفعل الآن؟ هارولان، أين أنت عندما أحتاج إليك؟ أيها الوغد الكاذب.."

وكان الأمور لم تكن لتسوء أكثر، إذ تعثرت في ركضها وعجزت عن إيقاف سقوطها وهي تهوي أرسا.. ولما وقف التوكور عند قدميها والجندي الغاضب يقترب منها ملوحاً بسلاحه في وجهها، رفعت ذراعيها تحمي رأسها وقلبها لا يكف عن ضرب صدرها بقوة.. أهذه هي نهايتها؟..

وعندما تعالى صوت الطلقة وسمعت أنه أطلقها الجندي فتحت عينيها بدهشة لترى الجندي مصاباً في ذراعه، وبسرعة تدارك أمره فأدار سلاحه ليرد على مهاجمه بعدة طلقات قبل أن تجرده طلقة أخرى من سلاحه، بينما هرب التوكور الخاص به فزعاً من صوت الطلقات.. ظل الجندي ينظر لهارولان الذي تقدم بالتوكور من موقعهما موجهاً سلاحه للجندي.. فسأله الجندي بغیظ "كيف استدلت على موقعي؟"

قال هارولان ببرود "هذه منطقة غير مأهولة، لذلك ليس صعباً تعقب آثار توكور وحيد يتجه لطريق يخالف ما حضر منه رجالنا منذ عدة أيام.. كما أن صوت الطلقات واضح من على مبعدة في هذه الغابة الساكنة" قفز الجندي محاولاً استعادة سلاحه، لكن هارولان عاجله بطلقة في رأسه أردته على الفور، وبي ناريا تغمض عينيها بفزع.. وبعد لحظة صمت شعرت بهارولان يمزق قيودها، فتطلعت إليه بصمت، قبل أن تغمغم بلوم محاولة تمالك دموع الفزع من الهطول "تأخرت كثيراً.."

لم يعلق بكلمة وهو يرمي الحبال بعيداً وهي تتأمله، ثم قالت مرتاعة "أنت مصاب في كتفك.."

لم يجبها بكلمة وهو يبتعد عنها فيجلس جانباً ويخلع قميصه ليستخدمه في الضغط على الجرح الذي تتصبب الدماء منه.. لم يظهر الألم على وجهه وهو يتجاهل وجودها تماماً.. ثم نهض وبحث في جراب التوكور عما يصلح

لربط الجرح.. ولما لم يجد اتجاهه إلى الجندي القاتل ومزق جزءاً من ملابسه، وحاول ربط جرحه بشيء من العسر.. فتقدمت بي ناريا منه مغالبة فزعها وهي تقول "دعني أربطه لك.."
قال بهزء "لا داعي.. لا تخدشي احساسك المرهف بمراى مثل هذا الجرح.."
ساءتها سخريته لكنها لم تجد ما تقوله فالتزمت الصمت.. ولما فرغ اقترب من الجندي وفتشه جيداً بحثاً عن أي أسلحة أخرى أو أجهزة إرسال قد يكون استخدمها لإبلاغ القصر بأمر بي ناريا والثوار.. ولما تأكد أنه خالٍ من أيها امتطى التوكور ومد يده يعين بي ناريا ليردفعها خلفه.. ولما استقرت خلفه لكز التوكور بسرعة عائداً إلى الثوار، فتمسكت به وهي تتفادى كتفه المصاب، الذي لاحظت أن الدماء تغرق أربطته بغزارة.. غلبها القلق عليه، لكنها علمت أنه يكره أي مشاعر قد تظهرها تجاهه..
غلبها الأسى لما آل إليه حالهما فغمغمت بحزن "لماذا عدت من أجلي؟ لماذا لم تتركني أموت بيد ذلك الجندي ما دام هذا ما تتمناه؟"
بدا لوهلة أنه لم يسمعها، ثم سمعته يقول ببرود "الرئيس يحتاجك، وعندما ينتهي الأمر كله أريد أخذ ثأري بيدي"
صمتت بحزن مطرقة طوال طريق العودة.. أحقاً غدت علاقتها بهارولان أمراً ميئوساً منه؟...

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء عندما وصل الإثنان إلى موقع الثوار.. عندها فوجئاً برؤية المكان يخلو من أي أثر لرفاقهم، عدا عن آثار النيران التي أشعلت الليلة الماضية.. فغمغمت بي ناريا بقلق "هل رحلوا وتخلوا عنا؟"
قال هارولان بصوت متعب "أغلب الظن أنهم تقدموا تجاه العاصمة، وسينتظروننا هناك"
قالت مقطبة "ولماذا الاستعجال؟ أل هذه الدرجة لا يهمهم أمرنا؟!"
علق وهو يستدير بالتوكور "سنعرف عندما نلحق بهم.."
وانطلق من جديد فيما بي ناريا تفكر بقلق فيما أقدم عليه رئيس الثوار.. كيف تخلص عنها بهذه السهولة رغم أنهم بحاجة لها؟ هل اعتقدوا أنها لن تنجو من الجندي الذي حاول قتلها؟..
قطع أفكارها تَرَنُّج هارولان قبل أن يفلت اللجام من يده ويهوي أرضاً بشكل فاجأها..
أسرعت تلتقط اللجام وتوقف تقدم التوكور بمهارة، ثم تهبط من على ظهره وتسرع إلى هارولان الذي حاول الجلوس بمشقة فأعانتته وهي تسأله بقلق عارم "هل تأذيت؟ ما الذي جرى لك؟"
قال هارولان بعسر "الجرح ينزف بغزارة، وقد فقدت الكثير من الدماء.. يجب أن يُعالج الجرح قبل أن يزداد سوءاً"

حاول الوقوف وهي تعينه، واتجه بخطى مترنحة ليجلس تحت أقرب شجرة، بينما ربطت بي ناريا التوكور على

مقربة لكي لا يفقدوا وسيلة تنقلهم الوحيدة.. ولما عادت إليه وجدته قد نزع الأربطة الغارقة في الدماء عن جرحه، وقال لها "أشعلي ناراً.."

نظرت له بدهشة متسائلة "لماذا؟ وكيف؟ أنا لم أفعل هذا من قبل مطلقاً"

شرح لها الطريقة بكلمات موجزة ثم قال "يجب أن نكوي الجرح لنوقف تدفق الدماء.. أسرع"

لم تفهم ما المطلوب منها، لكنها أسرعت لالتقاط بعض الأخشاب القليلة وحاولت جهداً إشعال النار.. وبعد عدة محاولات فاشلة تمكنت من إشعال نار صغيرة غذتها بالمزيد من الأخشاب، ولما عادت إلى هارولان الذي كان يراقبها مرهقاً، قال لها وهو يخرج من جيبه خنجرًا صغيراً "قومي بتسخين الخنجر على النار، وحاذري أن تحترق أصابعك"

فعلت ما طلبه منها بصمت، ثم قالت "ما فائدة ما أفعله هذا؟"

أجابها "لنضمن ألا يتلوث الجرح.. والآن عليك استخراج الرصاصة من الجرح"

نظرت إليه بعينين متسعيتين وهتفت "مستحيل.. لا أستطيع هذا"

قال بحدة "يجب أن تفعلي هذا.. موقع الجرح لا يُمكنني من استخراجها بنفسني، ولا يمكن إبقاء الرصاصة فيتلوث الجرح أكثر.. يجب أن تفعلي هذا أنت.."

هزت رأسها بقوة رافضة وهي تتراجع، فأسند رأسه إلى الشجرة قائلاً "إذن سارعي لأخذ التوكور والانطلاق إلى العاصمة.. أنا لن أستطيع بلوغها حياً على كل حال"

عضّت شفتها السفلى بقوة دون أن تفطن إلى أنه يحاول الضغط عليها بقوله هذا، ثم قالت بصوت مرتجف "سأفعل.. سأحاول أن استخرجها"

فقال لها وهو يمسح الدماء عن الجرح ليمنحها رؤية أفضل "حاولي استخراجها بسرعة دون أن تسببي المزيد من الدمار للجرح"

غابت بي ناريا قشعريرة سرت في جسدها، وببد ترتجف استخدمت الخنجر في استخراج الرصاصة التي غاصت عميقاً في الجرح.. كان عملاً صعباً بالنسبة لها وهي التي لم تر جرحاً في حياتها ناهيك عن لمسه، وكلما نظرت إلى هارولان وجدت الألم ناضحاً على وجهه مما أربكها أكثر وهي تحاول أن تنتهي بسرعة.. وبعد فترة رأتها بي ناريا كدهر، استطاعت استخراج الرصاصة بنجاح، فرمتها وضغطت على الجرح بقوة محاولة إيقاف النزيف الذي تزايد، وهي تسأل "والآن ماذا أفعل؟"

قال لها بتعب "قومي بتسخين الخنجر من جديد واستخدميه لكوي الجرح.."

غمغمت بقلق "ولكن.."

قال بحزم "هذه هي الوسيلة الوحيدة لإيقاف الدماء بسرعة.. افعلي هذا"

قامت بما طلبه منها وهي تستخدم النار في تسخين الخنجر فترة طويلة حتى بدأت تتوهج، واقتربت من هارولان قائلة "سأبدأ الآن.."

دفعت نفسها دفعاً لتكوي الجرح بظاهر الخنجر دون أن تملك الجرأة لفتح عينيها ورؤيته.. حتى سمعت هارولان

يقول "يكفي هذا.. سخني الخنجر وكرري الأمر من جديد في جهة أخرى.."

كررت الأمر وجسدها كله ينتفض، وكلما لامست الجرح بالخنجر وسمعت هارولان يكتّم ألمه بأنين خافت، وشمّت رائحة الاحتراق الكريهة، شعرت أن وعيها يكاد يفلت منها، لكنها تتحامل على نفسها وتفكيرها منحصر بهارولان وما قد يعاينيه من الألم.. بعد لحظات بدت لها طويلة جداً سمعت هارولان يقول بصوت متحشرج "يكفي هذا.."

نظرت إلى الجرح المكوي والذي غدا بشع المنظر، وإلى وجه هارولان الناضج عرقاً وألماً، وهمست بصوت مرتجف "أنا أسفة.. لقد أملتك كثيراً.."
غمغم وهو يغمض عينيه "شكراً لك.."

شعرت أنها تريد الفرار من المكان كله، فحملت قميصه الملطخ بالدماء والأربطة المتسخة وركضت مبتعدة تابعة صوت خرير ماء قريب.. أخذت دموعها تهطل على وجهها وهي تنشج باكية فزعاً من مرأى الجرح والدماء، وألماً لمراى هارولان يتعذب.. بعد سير قصير وجدت جدولاً صغيراً يجري وسط الغابة تهاوت قربه وهي تشعر بجسدها ينتفض بقوة.. غسلت وجهها بالمياه الباردة محاولة تمالك نفسها ونسيان تلك التجربة البشعة.. ميزة أن تعيش مرفهاً في قصر أنك لا ترى إلا ما هو جميل ومبهر، ولا تجرب إلا كل ما هو مسلٍ وممتع.. لم تعتقد يوماً أنها ستعالج جراح شخص ما بهذه الطرق البدائية.. وكونه كان شخصاً تهتم لأمره جعل الأمر أسوأ.. لذلك بالكاد تحملت ما مرت به..

بعد أن هدأت نفسها، غسلت القميص والأربطة من الدماء جيداً، وعادت إلى موقع هارولان الذي تركته دون كلمة.. وجدته تحت الشجرة صامتاً دون حركة، فلم تدر أهو نائم أم فاقد للوعي.. اطمأنت إلى أنه لا يزال يتنفس، لكنه لم يفتح عينيه عندما اقتربت منه ولم يُظهر حركة تدلّ على استيقاظه.. جلست قربه واستخدمت الأربطة النظيفة لتمسح الدماء التي أغرقت جسده.. كانت الدماء قد توقفت عن النزف من الجرح مما أراحها.. ولم يبدُ أن عملها قد يوقظه من غيبوبته، فالتزمت الصمت حتى أنهت عملها، ثم خلعت معطف هارولان الذي كانت تحتفظ به ووضعت على جسده، ملاحظة القلادة الصغيرة التي أصبح يرتديها حول عنقه، ثم جلست قربه بانتظار أن يستفيق بمفرده..

ظلت صامته وبصرها بين فترة وأخرى يعود تلقائياً للقلادة.. هل كانت ملك زوجته الراحلة؟ شعرت بشيء كالنار في صدرها وهي تتأمل وجهه النائم وتحاول تخيل تلك المرأة.. لاشك أنها تفوق تلك المرأة جمالاً وفتنة.. لكن رغم ذلك كان مجرد تذكرها يملؤها بالضيق وتشعر أن صدرها يضيق عليها ويشتعل ناراً.. أهذه غيرة؟ فكرت باستنكار.. لا يمكن أن يصل حبها له لهذه الدرجة..

عادت تنظر للقلادة وهي تودّ لو تمد يدها وتنزعها من عنقه.. ثم غمغمت لنفسها "إنها صغيرة جداً وناعمة.. لا بد أنها كانت لابنته.. فليس هناك من داعٍ لاحتفاظه بأثر من زوجته.."

مر وقت طويل وبي ناريا جالسة بصمت تنتظر استيقاظه، وتطمئن بين فينة وأخرى أنه لا يزال حياً.. ولما فتح عينيه ونظر إليها، قالت بقلق "هل أنت بخير الآن؟"

لم يتحرك من مكانه وهو يجيب بصوت متعب "أفضل حالاً.. لكن الدماء التي فقدتها لن يتم تعويضها بسهولة.."
نهضت إلى التوكور، فبحثت في جرابه عن بعض الطعام والماء.. لتجد من الطعام ما يكفي حصتين، وحاوية الماء خالية تقريباً.. ناولت هارولان الحصة الأولى قائلة "تناول هذا لتستعيد شيئاً من قوتك.. وسأحضر أنا الماء من جدول قريب.."

وغادرت عائدة إلى الجدول، وهناك شربت الكثير من المياه تعويضاً عن الطعام الذي فضلت إبقاءه لهارولان، وملاّت الحاوية بالماء قبل أن تعود إلى موقعه وتناوله الحاوية.. فسألها "ألن تأكلي؟"
ابتسمت مجيبة بكذب "لقد أنهيت حصتي أثناء نومك.. فأنا لا أطيق الانتظار عند جوعي.."
لم يعلق وهو ينهي طعامه بصمت، فسألته "متى ترى أن بإمكاننا إكمال المسير خلف البقية؟"
أجاب "أحتاج ليوم راحة على الأقل لأسترد قوتي.. لكن أشك بقدرتي على قيادة التوكور بحالتي هذه.. بكتف وذراع ملأى بالثقوب.."

فقالت "لم يسألني أحد عن رأيي حتى الآن، لكنني ماهرة بامتطاء التوكور.. وربما كنت أكثر منك مهارة.."
تطلع إليها بدهشة مغمماً "أنت؟"
فقالت بابتسامة "لا تستهن بملكة سابقة.."

لكنها ندمت على جملتها هذه على الفور لدى رؤية النظرة التي التمعت في عينيه قبل أن ينظر باتجاه آخر..
فوجمت وهي تؤنب نفسها على تذكره بشيء لا يود تذكره.. ثم غمغت "ألن تصفح وتتسنى يا هارولان؟"
قال بلهجة يمتزج فيها الغضب بالأسى ويده تمتد لتمسك القلادة الفضية الصغيرة "أنسى؟ تريد أن أنسى أحبائي؟ تريد أن أنسى ابنتي يا جلالة الملكة؟ كانت أجمل شيء حصلت عليه في عمري، وكل ما أمر به كان يهون بمجرد بسمة من شفيتها.. لكن لم تشفع لها براءتها وسنواتها الثلاث وجنودك يغتالونها بكل قسوة.. فما الذي تريد مني أن أنساه؟"

همست بصوت مرتجف "أنا أسفة لما حصل لك.. لكن لا ذنب لي في هذا.. صدقني لقد استغفل مانيم والذي الذي لم يكن يرضى بالظلم، وما أظنه كان يعلم بشيء من حقيقة ما حدث لك.. ما الذي أستطيع تقديمه عوضاً عما فقدته؟"

قال بلهجة حادة "مادام الوصول إلى الملك الراحل مستحيلاً، فموتك هو التعويض الوحيد، وموت مانيم أيضاً"
صاحت "وهل موتي سيعيدهم؟ لو كان هذا سيحدث فأنا أَرْضَى به.. لكن موتي لن يعيد أحداً.. هل ستكون سعيداً بسفك دمي حقاً؟ أهذا ما يرضيك؟"
جزّ على أسنانه مجيباً "هذا سيسفني غليلي.."

ظلت تنتظر إلى الكره في عينيه، والذي علمت أنه لن يزول من ذاكرتها أبداً.. ثم تنحت بعيداً عنه وهي تدفن وجهها بين ذراعيها المستندتين على ركبتيها.. كانت تود لو تجهش بالبكاء لتتخلص مما فاض من مشاعر الألم والحزن واليأس في صدرها.. لكنها أبت ذلك لكي لا يعتقد أنها تستجدي مشاعره.. فأخر ما تبغيه هو أن تذلل نفسها أكثر مما فعلت.. لقد حاولت عدة مرات أن تتال صفحه وحبه من جديد، لكنه لم يتوان عن رفضها في كل

مرة.. فحتى متى ستظل تدور في فلكه وتبحث عن رضاه؟ شتت في سريرتها ضعفها الذي قادها للرضوخ له عندما سعى لفرض حبه عليها بالقوة، ولو رفضت لبقيت قوية ولما شعرت أنها في موقف مذل كالذي تمر به الآن..

لقد ابتعدت عن هدفها كثيراً.. وأن الأوان لتسترد مسارها الصحيح.. وليس هارولان إلا وسيلة للوصول إلى هدفها الكبير..

عندما اصطبغت الغابة بالأوان الغروب، تحامل هارولان على نفسه ليقف، وتلفت حوله بحثاً عن بي ناريا التي تركته وحيداً منذ مدة طويلة.. فتبع صوت الماء في الاتجاه الذي سلكته بي ناريا حتى وصل إلى الجدول الصغير حيث جلست قرب صامته.. ولما شعرت به والتفتت إليه قال لها "لا تبقي بعيدة عني.. الظلام سيحل والغابة ليست آمنة تماماً.."

لم تعترض على قوله، وتبعته بصمت إلى حيث وقف التوكور متمللاً يتناول ما يطاله من الحشائش والأشجار.. رأت هارولان يحاول إشعال النار من جديد بعد أن انطفأت النار السابقة، فعزفت عن مساعدته وهي تجلس قرب الشجرة تراقبه.. ولما فرغ تناول ما بقي لديهم من طعام واقترب من بي ناريا ليناولها أكثره، فأشاحت بوجهها قائلة "لا أريده.. استعد طاقتك بسرعة لنتمكن من المغادرة فلا أريد البقاء هنا أكثر"

قال مقطباً "لا يمكنك أن تبقي دون طعام.."

صمت دون أن تتجاوب معه، فزفر وهو يعيد الطعام إلى جراب التوكور دون أن يتناول منه شيئاً ويعود للجلوس تحت الشجرة قرب النار بصمت..

بعد حلول الظلام، انطوت بي ناريا في المعطف وهي جالسة واضعة رأسها على ذراعيها المستندتين على ركبتيها، وأغمضت عينيها منصتة للأصوات الصادرة من الغابة وسط هدوء الليل ودفء النار.. نظرت إلى هارولان بطرف عينا فرأته ساهماً ينظر للنار بصمت، وبين فترة وأخرى يغذيها بالمزيد من الخشب ليطيل عمرها.. فتنهدت وهي تغمض عينيها من جديد محاولة الحصول على بعض الراحة.. شعرت أنها منهكة لا تقدر على البقاء مستيقظة أكثر من هذا، وقد هدها التعب والجوع والانفعالات التي مرت بها طوال النهار..

أما هارولان فقد التزم الصمت تماماً وإن عجز عن الاستغراق في النوم.. بقاءه وحيداً في الغابة مع بي ناريا جعله يخشى مما قد يواجههم لو غفلت عينه ولو لدقائق.. والآلام المتزايدة في ذراعه تمنع عنه النوم.. ظل ينظر للنار مستغرقاً في أفكاره دون أن ينظر تجاه بي ناريا.. شعر بضيا ع تام.. رغم استيقانه وعزمه على الوفاء بوعده الذي لا يمكن التنازل عنه، لكن الصدمة التي واجهها بمعرفة هوية بي ناريا بعد أن وقع في حبها جعلته مزعزع الفكر.. وكل ساعة تمر تجعله يعيد التفكير مرة بعد مرة عما يفترض به أن يفعله.. حاول تناسي آلامه والحرارة التي يشعر بها متمركزة في ذراعه.. وهو يضع المزيد من الأخشاب في النار متمنياً ألا تنطفئ قبل

انقضاء الليل..

قبل شروق شمس اليوم التالي، نهضت بي ناريا من نومها على صوت التوكور الذي كان يتململ في لجامه مصدراً صوتاً متدماً.. تلفتت حولها بشيء من عدم الفهم، ولما استوعبت ما حدث لهم في الليلة الماضية نظرت إلى هارولان القريب منها.. وجدته لا يزال غارقاً في النوم، لكن بعد برهة انتبهت إلى العرق الذي يغمره وتعابير وجهه الناضحة بالألم.. اقتربت منه وهزته قليلاً هامسة "هارولان.. استيقظ.. هل أنت بخير؟"

راعتها حرارة جسده المرتفعة، بينما فتح عينيه قليلاً مغمماً "لا تخافي.. سأكون بخير.."

قالت بقلق "لا تكابر.. يبدو أنك محموم.. هل يؤلك الجرح؟"

قال وهو يمسك ذراعه "ليس جرح كتفي.. لقد نسيت الجرح السابق في ذراعي.. ويبدو أنه التهاب.."

تساءلت بقلق متزايد "هل في هذا خطورة؟"

حاول هارولان النهوض قائلاً "يجب أن أبحث عن علاج.. لا يجب أن أبقى هنا أكثر من هذا.."

كان يسير بعسر شديد وهي تلاحظ رجفة في أطرافه مما دلها على سوء حالته، فنهضت وأسهرت إلى التوكور

تفك رباطه، وقربته من هارولان قائلة "هل تستطيع الركوب؟ سأخذك إلى أقرب طبيب"

امتطت التوكور بسهولة، ومدت يدها محاولة مساعدته، لكنه لم يعرها بالاً وهو يمتطي التوكور بعسر شديد،

وجلس خلفها محنياً رأسه متلاحق الأنفاس.. وبعد أن استقر، لكزت التوكور لينطلق وسط الغابة بأسرع ما

يستطيع.. كانت الغابة مترامية الأطراف، يصعب على السائر فيها استدلال طريقه.. فما بالك بفتاة لم تغادر

ربوع القصر والربوة المحيطة به بتاتاً؟..

وبين وقت وآخر، كانت بي ناريا تقف متلفتة حولها محاولة العثور على فرجة بين الأشجار.. وتلقي بنظرة قلقة

على هارولان الذي بالكاد يتشبث بسرج التوكور مقاوماً السقوط.. ثم تعاود السير وهي تغمغم لنفسها "ليس

هذا بالوقت الملائم للتيه في الغابة.. كيف يمكنني استدلال الطريق وحدي؟"

مرّ وقت طويل وهما يدوران في الغابة دون وجهة محددة، وازداد قلق بي ناريا وهي تلاحظ ازدياد تعب

هارولان.. توقفت عن السير بعد أن انتصف النهار وقالت له "فلننزل حتى ترتاح قليلاً.. سيزيد إنهاكك ما لم

ترتاح وتتناول بعض الماء والطعام.. وبعدها نكمل سيرنا.."

هز رأسه مجيباً "إن نزلت عن التوكور فلن أقدر على الصعود عليه مرة أخرى.."

اعترضت "ولكن...."

قاطعها وهو يتلفت حوله "أما من لمحة حولنا عن وجود أي حياة قريبة؟"

تلفتت بدورها مجيبة "لا.. يبدو أن الوقت سيطول بنا قبل أن نتمكن من الخروج من الغابة.."

تناولت حاوية الماء من جراب التوكور.. وساعدت هارولان ليشرب قليلاً منها ليعوّض ما فقده بسبب الحمى التي

لا يبدو أنها ستخف قريباً.. ثم وجدته يأخذ الحاوية ليسكب معظمها على رأسه.. فقالت في قلق "هذا كل ما

نحمل من ماء.."

لم يعلق هارولان بكلمة، عندها عادت تلکز التوكور لتدفعه للسير مجدداً وقلقها يزيد.. هل سيصبح هارولان

بخير؟.. غمرها الإحساس بالذنب لأن ما أصابه وانفصاله عن رفاقه كان بسببها..

قطع تفكيرها صوت هارولان يقول "أشم رائحة دخان.."

أوقفت التوكور وتلفتت حولها قبل أن تقول "بالفعل.. لكنها خفيفة جداً.. كيف نستدل على موقعها؟"

تلفت هارولان متأملاً ما حولهما وهي تراقبه صامته، ثم أشار لإحدى الجهات قائلاً "الريح قادمة من تلك الجهة حاملة الرائحة معها.. اتبعيها.."

انطلقت بي ناريا في ذلك الاتجاه وشيء من القلق يعتريها.. إنها محتاجان للوصول إلى من سيؤمن لهارولان الرعاية الطبية، لكن هل سيكونان بأمان هناك؟ مازال خطر الجنود يتهدهما.. ومازالا لا يعلمان هل أمر القبض عليها منتشر في الأقاليم أم أن مانيم متكتم عليه بين الجنود وفي هيمانيا فقط..

بعد مسير قصير وجدت بي ناريا الأشجار تنفرج عن بضع منازل وسط مساحة مفتوحة في الغابة.. محاطة بمساحات مزروعة، وأصوات مختلف الحيوانات تصدر من تلك البقعة.. وفي جانب الموقع كومة من الأوراق الجافة التي يتم حرقها وهي ما شموا رائحته من قبل.. وقفت بالتوكور متخفية بين الأشجار متسائلة "هل تأمن أنهم لن يتعرفوا هويتنا ويسلمونا للجنود؟"

لم تجد استجابة من هارولان، فالتفتت إليه لتجده قد غرق في غيبوبة وهو يكاد يسقط عن التوكور.. عندها سارعت لتسنده وهي تناديه بقلق.. ولما لم يستجب لها نزلت من التوكور لتفسح له مكاناً وجعلته يستلقي على التوكور.. وسارعت لتجذب اللجام وهي تسير بسرعة باتجاه تلك المنازل.. مع سوء حالة هارولان يغدو التفكير في خطر الجنود ثانوياً..

رأت بي ناريا عدداً من الرجال يعملون في الحقول القريبة التفتوا إليها على الفور باستغراب.. فصاحت وهي تسرع إليهم "هل يستطيع أحد مساعدتنا؟ هذا الرجل محموم وبحاجة لعلاج عاجل.."

اقترب أحد الرجال منها وهو يتساءل "من أنتم؟ عابرا سبيل؟"

قالت بلهفة "أجل.. نحن مجرد عابري سبيل.. لكن هذا الرجل أصيب بحادث والآن جراحه ملتهبة.. هل تملك علاجاً له؟"

أشار لها الرجل لتتبعه، فسارت خلفه بعد أن استلم لجام التوكور منها وهي تلاحظ نسوة يتوقفن عن عملهن في قطف الثمار ويلقين بنظرات فضولية عليها.. بينما بضع صبية يتراكضون بين الأشجار قد توقفوا بفضول مماثل..

تجاهلت بي ناريا الجميع وهي تسرع خلف الرجل الذي قادهم بين المنازل التي لا تتجاوز الخمس حتى توقف قرب أحدها.. كان منزلاً حجرياً صغير الحجم، لا يبدو أنه بقادر على إيواء أكثر من ثلاثة أشخاص بنظر بي ناريا.. سقفه منخفض عما اعتادت عليه في القصر، وفي جانب السقف مدخنة حجرية بنى طائر ضخم عليها عشه..

ربط الرجل لجام التوكور في جانب المنزل، وقام بحمل هارولان بخفة على كتفه إلى الداخل.. لم تعلق بي ناريا بكلمة رغم استيائها مما تراه على الرجل من قذارة والتراب يغطي يديه وثيابه جراء عمله في الحقل، وتبعته إلى

الداخل حيث عبروا باب المنزل والرجل يقول بصوت عالٍ "عماه.. نحن بحاجة إليك فهلا أتيت؟" لم تدرِ سبب صياحه وهي تراه يدلف إحدى الغرف ويضع هارولان على سرير فيها.. ثم سمعت صوت خطوات تسير فوق السطح.. مرت لحظات قبل أن يظهر صاحبها داخلاً المنزل متذمراً "ما الأمر المستعجل؟ أنت تعلم أنني يجب أن أصلح السقف قبل أن يفاجئني المطر بالهطول.."

توقف متفاجئاً لدى رؤية بي ناريا وهي تنظر إليه بدهشة بدورها.. كان كبير السن لحيته ابيضت رغم ما بدا عليه من نشاط وقوة..

قال الرجل من خلفها "هذان عابرا سبيل قدما قبل قليل.. أحدهما مصاب بالحمى ويبدو أنه يعاني من بعض الجراح.. هلا اعتنيت به؟"

اقترب الرجل بعد أن حيا بي ناريا بهزة من رأسه تجاهلتها بدورها.. وتفحص هارولان للحظات والرجل الأول يغادر بعد أن قال لبي ناريا "لا تقلقي عليه.. فالعم لديه من الخبرة الكثير في هذه الأمور.. نحن جميعاً نعتمد عليه إن واجهتنا أية مشاكل صحية.."

لم تعلق بي ناريا وهي تسمع العم يقول "يبدو أن جرح ذراعه ملتهب بشدة.. لقد أهمله فترة سمحت للإصابة بأن تتلوث مسببة له هذه الحمى التي يحاول بها جسده مقاومة الالتهاب.."

والتفت إلى بي ناريا مضيفاً "هذه إصابة برصاصة.. فمن الذي تسبب بها؟"

تلعثمت بضغ لحظات وهي تحاول التفكير في عذر مقنع دون ذكر الجنود.. لكنه أعفاها من هذا وهو يغادر الغرفة قائلاً "لا داعي لكل هذا.. يجب أن أعالجه الآن بسرعة وبعدها سأعرف ما حلّ بكما.."

تساءلت بقلق "المهم.. هل سيكون بخير؟"

تساءل العم وهو يفحص جرح كتفه "متى أصيب بهذه الجراح؟"

قالت "جرح كتفه أصيب به البارحة.. لكنني كويت موقع الجرح حسب وصيته لي لأوقف النزيف وأعقم الجرح.. أما الإصابة الأخرى في ذراعه فهي لعدة أيام مضت.. لكنني ظننت أنه عالجه.."

قال العم وهو يخرج من الغرفة "ربما لم يكن يملك الأدوية الملائمة"

صمتت بي ناريا والقلق ينهشها عليه لما تراه من شحوب وجهه والحرارة تغمر جسده بالعرق.. مسحت وجهه بيدها وهي تغمغم "هارولان.. لم لا تستيقظ؟ لا تزدني قلقاً عليك أرجوك.."

سمعت العم يقول من خلفها "إن الإنهاك الذي أصابه والحمى القوية تجبره على البقاء فاقداً الوعي.. الأفضل أن نسرع بمعالجته حتى يستيقظ فلا يسبب القلق لفتاة جميلة مثلك"

رأته يحمل عدة طبية بسيطة، فتحت جانباً لتفسح له مجال عمله، وجلست على أريكة قريبة زافرة.. بودها لو تنام على سرير مريح، فقد ملّت من النوم في العراء وشعرت أن عظامها مضعضعة تحتاج لراحة شهر حتى تغدو بخير.. قال لها العم وهو يعمل "من أين أتيتم؟ لا يمر عابروا السبيل من هذه الغابة عادة بل يتخذون طريقاً أبعد تجاه الشمال.."

أجابت بي ناريا بعد لحظة صمت "نحن قادمان من نيمما.. كنا ذاهبين لزيارة قرية قريبة، لكن فاجأنا بعض

للصوص وحاولوا سرقتنا.. وهذا سبب إصاباته.."

قال العم بشيء من الدهشة "لصوص؟.. هذا أمر نادر في المنطقة.."

صمتت دون تعليق.. فهذا هو العذر الوحيد الذي استطاعت إيجاده لتبرير إصابات هارولان.. ولم يسألها العم عن المزيد وهو مستمر في عمله.. مما أراحها.. فهي غير واثقة من قدرتها على المزيد من الخداع والأكاذيب..

عندما فتح هارولان عينيه، كان الظلام يعمّ الغرفة كلها إلا من نور الفجر الوليد القادم عبر النافذة.. رغم إنهاكه الشديد إلا أنه شعر بتحسّن حالته.. رأى الضمادات تغطي جرحه، ورائحة دواء قوية تنسل من الأربطة.. اعتدل جالساً متلفتاً حوله، ليرى بي ناريا نائمة على أريكة قريبة متدثرة بغطاء خفيف رغم برودة الجو.. لم يحاول إيقاظها وهو يستلقي مجدداً محاولاً الحصول على مزيد من الراحة.. طال به الوقت في مكانه حتى شعر بالملل، فخرج عازماً على استكشاف المكان حولهم..

ارتدى معطفه الذي كان مرمياً على الأريكة، وخرج بصمت من الغرفة.. وجد طاولة في طريقه تحوي بعض الطعام المغطى، فلم يملك جوعه وتناول معظمه بسرعة علّ هذا يساعده في استعادة صحته.. وعند انتهائه توجه خارج المنزل وسط ضباب كثيف ليقف قريباً منه يتأمل المنازل القريبة رغم أن ملامحها لا تظهر واضحة بشكل كافٍ..

بعد فترة قصيرة سمع خطوات متعجلة خلفه قبل أن يجد يداً تجذبه ليلتفت، ورأى وجه بي ناريا القلق وهي تسأله متلاحقة الأنفاس "هل أنت بخير؟"

نظر إليها بدهشة مجيياً "أفضل حالاً بالتأكيد.."

وجدها تتنهد واضعة يداً مرتجفة على جبهتها، قبل أن تغمغم "نهضت ووجدت فراشك خالياً.. فظننت أن أحداً ربما عرف هويتك وسلمك للجنود.."

قال بتعجب أكبر "لا أظن أحداً هنا يعرف هويتي ليفعل شيئاً كهذا.."

أجابت "البارحة سمعت الرجال يتحدثون عن أمر صدر من مانيم بالقبض على أي هيمانى يشاهد في غير هيمانيا.. يبدو أن أمر الثورة لم يعد بالسرية التي ترجونها.."

علق هارولان قائلاً "طبعاً.. بعد الخيانة التي واجهناها من ذلك الدليل.."

فقالت له "ألا يمكنك أن تفعل شيئاً ولكنك هذه؟ إنها ثقيلة وواضحة جداً لا يمكن إخطاؤها.. وستعرضنا كلنا للخطر"

أجاب هارولان "لا أستطيع التحدث بغير هذه اللكنة.. لكن يمكنني أن أظهار بالكم لكيلا أضطر للتحدث بها"

سألته بشيء من القلق "أتظن هذا ينجح؟ متى تعتقد بإمكاننا مواصلة الرحلة إلى يناسا؟"

قال "يلزمني المزيد من الراحة فلا أضمن ألا تعود الحمى من جديد.. أين التوكور؟"

قالت "أخذوه لحظيرة قريبة واعتنوا به.. لقد حرصت على اللحاق بهم لمعرفة موقعه في حال احتجنا للمغادرة سراً.."

وأضافت متأملة المكان حولهما "إنهم أناس طيبون.. لم يسألوا الكثير عنا ولم يتوانوا في تقديم المساعدة.. عندما أعود للعرش سأمنحهم منازل في أقرب مدينة وأوفر لهم عيشاً كريماً بدل حياتهم البائسة هذه.."
علق هارولان "تغيير حياة هؤلاء ليس بأفضل ما تفعلينه لهم بالضرورة.. يجب أن تعرفي ما يرغبون به وتقديمه لهم.."

وأضاف بتعجب "لقد تغير نوعاً ما.. فما أظنك في السابق تهتمين بما يريده الشعب منك.."
صمتت عن التعليق.. لا تريد في هذه اللحظة أن تقول له أنها تغيرت بعد لقائه.. أن كل حديث يدور بينهما يجعلها تدرك أشياء عديدة كانت غافلة عنها، وأنها بعد لقائها بهارولان الذي لا تعرف كيف تعلقت به وأحبته لهذه الدرجة بحيث جعلها هذا تتغاضى عن أصله الأقل من عادي وتصرفاته غير المهذبة ووجهه بالجرح الكبير فيه، أصبحت أكثر اهتماماً بالعامية وإدراكاً لاحتياجاتهم ومشاعرهم..

بعد طلوع الشمس وانقشاع الضباب، تعالت أصوات القرويين وهم ينطلقون في أعمالهم اليومية، وضج المكان بأصوات حيواناتهم التي خرجت تجول في المساحات العشبية المحيطة بالمنازل.. وفي المنزل الصغير، استسلم هارولان للعم الذي كان يبذل ضماداته وبي ناريا تراقبهما بصمت.. ثم سمعت العم يتسائل "هل تشعر بآئك أفضل حالاً اليوم؟"

لم يجب هارولان بكلمة وهو ينظر جهة بي ناريا التي سارعت لتقول "إنه أبكم.. لكنه أفضل حالاً اليوم بالتأكيد.. الشكر لك على هذا.."

نظر إليها العم بدهشة لم تفهم سببها لثوان قبل أن يعاود عمله بصمت.. وقال قبل أن يغادر "سيصل فطوركما خلال لحظات.. أنا أعيش بمفردي لذلك تقوم النسوة المجاورات لي بتحضير طعامي وإحضاره كل يوم.."
غمغمت بي ناريا بكلمات مبهمة، فخرج العم بصمت من الغرفة ليعيد عدته الطبية مكانها، عندما اقترب منه الرجل الذي حمل هارولان إليه بالأمس وقال "مرحباً أيها العم.. كيف ضيفيك هذا النهار؟"
جذبه العم لإحدى الغرف وأغلق الباب عليهما قبل أن يواجهه هامساً "الفتاة تدّعي أن الرجل أبكم.. لكنني أجزم بأنني سمعت صوته قبل طلوع شمس هذا النهار.. لقد تركت نافذتي مفتوحة وسمعتكما يتحادثان، وإن كان الصوت خافتاً لم أفهم حديثهما منه.."

تساءل الرجل متعجباً "وما حاجتهما للكذب في هذا الأمر؟"

قال العم مفكراً "لا أعلم.. هناك سر يشوبهما.. لا تنس أن الرجل كان مصاباً بأكثر من رصاصة.. وعذرهما بهجوم اللصوص عليهما ليس مقنعاً بالمرة.."

قال الرجل "إن؟ من هما حقاً؟"

قال العم "يجب أن نراقبهما بحذر اليوم.. من يعلم، قد يكونون لصوصاً هاربين من الجنود.. قد يعتمدون إلى سرقتنا والهروب فور تعافي الرجل.."

وأضاف قبل أن يخرج "أبلغ جميع الرجال أن يأخذوا حذرهم لدى رؤيتهما.. لا نريد أن نندم على ضيافتنا لهما.."

خرج الرجل لينفذ أمره، بينما أشار العم لفتاة دخلت لتوها حاملة طعام الإفطار لتضعه وتستدعي ضيفيه ليشاركاه في تناوله..

بعد انتصاف النهار، خرجت بي ناريا بطلب من هارولان لتأخذه حيث تركوا التوكور.. كان يشعر بشيء من عدم الأمان يجعله راغباً في التأكد من وسيلة نجاتهم إن اضطروا للهرب..

سارا عبر المنازل وبي ناريا تلاحظ ثقل خطوة هارولان وتعبه الذي بان بوضوح بعد سير قصير بسبب عدم اهتمامه بصحته، لكنها لم تعلق بشيء تعلم أنه لن يتقبله.. وقادته إلى حظيرة كبيرة متطرفة تحوي عدداً كبيراً من الحيوانات، وفي جانب منها رأيا التوكور الخاص بهما وقد وضع أمامه ما يكفيه من العلف والماء..

ربّت هارولان على التوكور وهو يطمئن عليه، فيما لاحظت بي ناريا النظرات التي ألقتها عليهما أحد القرويين وهو يعمل في الحظيرة، قبل أن يقترب منهما متسائلاً "هل أنت بخير اليوم؟ كنت في حالة مزرية البارحة" سارعت بي ناريا لتجيب "إنه أفضل حالاً اليوم.. لقد اعتنى به العم كأفضل ما يكون.."

عاد الرجل يتساءل "من أي مدينة أنتما؟ سمعت أنكما قادمان من نيم، لكن لكنتك لا تشبه سكان نيم، بل هي أقرب لسكان يناسا.. فما الذي جاء بكما إلى هنا؟"

قالت بي ناريا محاولة مغالبة ارتباكها "لقد كنت من سكان يناسا سابقاً.. أما الآن فنحن قادمان من مدينة بعيدة في نيم.. و..."

قاطعها هارولان وهو يجذبها محبباً الرجل بهزة من رأسه وهما يغادران الحظيرة، ولما ابتعدا عن مسامعه همس هارولان "ارتباكك وترددك سيثيران الشكوك أكثر من لهجتي الهيمانية.."

قالت مقطبة "لست معتادة على الكذب والمدارة.. فلا تلمني على هذا.."

قال بشيء من السخرية "لكن لم يرفّ جفحك وأنت تصوغين كذبتك في هيமானيا.."

صمتت بحنق وهي عازفة عن مجادلته.. وبعد سير قصير لاحظا أن كل من يمر بهما يلقي عليهما بنظرات متشككة، فقالت بي ناريا مقطبة "ما الأمر؟ البارحة كانوا يعاملوننا بلطف، فما الذي تغير؟"

علق هارولان بخفوت "يستحسن أن نغادر بأسرع ما يمكننا.. إذ يبدو أن لطفهم لن يدوم.."

لم تجادل بي ناريا وهي تسير معه بصمت حتى وصلا إلى أطراف القرية قرب الغابة كثيفة الأشجار، فتأمل هارولان البقعة وهو يقول "لست متأكداً من طريق العودة عبر هذه الغابة.. لقد عبرنا مسافة كبيرة فيها أثناء قدومنا إلى هنا ولم أكن بوعي كافٍ لتذكر الطريق"

والتفت إليها مضيقاً "يجب أن تسألني أحدهم عن الطريق إلى أقرب مدينة.. فلا يمكننا أن نغامر بالدخول في

الغابة دون وجهة محددة فنتيه فيها بضعة أيام.."

غمغمت "لست أدري إن تمكنت من استيعاب الطريق الذي سيوصف لي.."

قال هارولان بابتسامة "لن أطلبك بهذا بالتأكيد.. سأكون قريباً وهذا كافٍ.."

انتبهت بي ناريا لحركة قريبة وإن كانت خافتة، فأشارت لهارولان بالصمت وهي تتحرك تجاه الصوت بخفة..

سمعت صوتاً خافتاً لصبي يهمس "لقد سمعته.. إنه هيماني.. أنا واثق من هذا.."

أجاب آخر بعصبية "إن سيقتلنا.. كل الهيمانين مجرمون.. يجب أن أخبر أبي بسرعة"

قال الأول "إن هربنا الآن سيرانا ويقبض علينا.."

استدارت بي ناريا خلف جذع شجرة ضخمة لترى صبيين لا تتجاوز أعمارهما العاشرة، نظرا إليها بدهشة

سرعان ما تحولت إلى دعر وأحدهما يصيح "اهرب الآن.."

اندفعت بي ناريا محاولة الإمساك بهما، لكنهما أفلتا وهما يتراكضان بخفة بين الأشجار عائدين إلى القرية،

فصاحت بهارولان "اقبض عليهما.. سيؤلبان علينا القرويين.."

قال هارولان "لا وقت لهذا.. يجب أن نغادر"

وأمسك يدها ليجذبها خلفه ويعود ركضاً إلى الحظيرة التي تحوي التوكور، وهناك كان الرجل مازال مستغرقاً

في عمله.. فنظر إليهما بدهشة قائلاً "ما الأمر؟"

تجاهلته بي ناريا وهي تقول لهارولان بأنفاس متقطعة "أنت لازلت منهكاً من الحمى.."

لكن هارولان أخرج التوكور وامطاه وهو يمد يده تجاهها، فظلت مترددة وهي تدرك أنه قد ينهار من التعب في

أي لحظة.. في تلك اللحظة سمعا صراخ بعض الرجال في الخارج قائلين "إنه هيماني.. هيماني.."

فصرخ فيها هارولان "هيا.."

مدت يدها إليه فجذبها بقوة ليردفها خلفه والرجل يهتف رافعاً الأداة التي كان يعمل بها "تباً لك.. توقف.."

لكن هارولان لكز التوكور بقوة ليندفع خارجاً من الحظيرة.. وتجاوز عدداً من الرجال الذين لم يتمكنوا من إيقاف

اندفاعه ليكمل طريقه نحو الغابة.. كانت القرية كلها قد خرجت محاولة الإمساك بهما وقد تسليح كل رجل منهم

بسلاح ارتجالي من أدواتهم الزراعية، لكن لحسن حظهم لم يتمكنوا من الاقتراب من التوكور بالسرعة الكافية

ولم يكن أي منهم يملك سلاحاً نارياً.. وخلال لحظات معدودة كان التوكور يترك القرية خلفه ويتوغل في الغابة

بعيداً عن الرجال الذين لم يتمكنوا من اللحاق به.. فقال هارولان عندما توغلو في الغابة "حظنا كان حسناً هذه

المرة.. نجونا دون إصابات.. وأشك أن أحدهم سيتحمس لدرجة اللحاق بنا في الغابة.."

قالت بي ناريا بقلق "وماذا عن الحمى؟ قد تعاودك في أية لحظة"

قال هارولان "أرجو أن نصل إلى يناساً قبل ذلك، فهناك سيسهل علي إيجاد من يعالجني.."

صمتت بي ناريا بغير اقتناع، فرغم أن يناساً تقع عند أطراف هذه الغابة، إلا أن معرفة الاتجاه الآن مستحيل،

ولا يعلمان إن كانا بسيرهما هذا يقتربان من المدينة أم يبتعدان عنها..

فتح هارولان عينيه متطلعاً حوله بعد مدة لا يعلمها.. كان يستلقي على الأرض، وقد فُرش معطفه تحته، وأشجار الغابة محيطة به في كل الاتجاهات.. ومن النور الذي بدأ بالخفوت والاحمرار أدرك أن غروب الشمس ليس بعيداً.. اعتدل جالساً شاعراً بتعب شديد في جسده وهو لا يذكر ما الذي حدث له بعد هروبهم من تلك القرية الصغيرة.. أعاد النظر حوله بحثاً عن بي ناريا فلم يجدها في أي مكان حوله ولم يجد التوكور مما أقلقته.. نهض مغالباً تعبهُ وهو لا يعرف إلى أي اتجاه يجب أن يذهب بحثاً عنها.. بحث في كل اتجاه محاولاً ألا يبتعد عن موقعه السابق في حال عادت إليه.. مضت ساعة طويلة وهو في حيرة وقلق من أمره والتعب قد بلغ منه مبلغه قبل أن يسمع حوافر التوكور تضرب الأرض، فعاد إلى موقعه السابق ليرى التوكور تقوده بي ناريا حتى وقفت قريباً وهبطت بسهولة لتقترب منه قائلة "لماذا نهضت؟ يجب أن ترتاح مدة أطول"

سألها بحيرة "ما الذي حدث لي؟ وإلى أين ذهبت؟"

قالت وهي تجلس قرب الشجرة لترتاح "بعد مغادرتنا القرية بوقت قصير، غبت عن الوعي مرة أخرى وكدت تسقط من فوق التوكور المندفع.. يبدو أنك لم تتعاف بعد من الحمى.. فتركك هنا لترتاح وذهبت أبحث عن أي مصدر للمياه أو طريق يقودنا إلى يناسا.."

سألها "وهل وقفت في ذلك؟"

ابتسمت مجيبة "أجل.. وجدت نهراً صغيراً، وقربه وجدت آثار طريق قديم.. لا أعلم إن كان سيصلنا بيناسا أم لا لكن على الأقل سيخرجنا من الغابة.."

وناولته حاوية الماء قائلة "اشرب قليلاً.. هذا أفضل من لا شيء.."

بعد قليل، كان الاثنان يتجهان إلى الطريق القديم، وقد أصرت بي ناريا على قيادة التوكور محتجة بتعب هارولان الذي لم يغادره.. وخلال نصف ساعة، كانا يقفان عند النهر الصغير الذي يجري بسلاسة بين الأشجار، وقد بدت كثافة الغابة حولهم أقل مما كانت عليه سابقاً، فقالت بي ناريا بابتسامة "يبدو أن المخرج قريب.. لنسرع.."

انطلقوا على الطريق الذي لا تكاد معالمه تتضح من بين الأشجار التي قضت على معظمه.. كان سيرهم سلساً لا يعطله شيء والأشجار تتباعد أكثر فأكثر حتى رأيا أمامهما سهولاً فسيحة مخضرة تملأ الأفق.. ووسط تلك السهول، على مبعده منهما، كانت مدينة يناسا تربض بسكون بأسوارها العالية وضخامتها مقارنة بعاصمة هيمانيا.. فقالت بي ناريا بصوت مختلج "لقد وصلنا.."

كانت السعادة تغمرها برؤية مدينتها الحبيبة، وأحست بشيء من الأمان والراحة لعودتها إلى موطنها رغم كل المخاطر التي تحيط بها في تلك الساعة.. فلا شيء بنظرها يعادل يناسا في جمالها وهدوءها ورقيقها.. سمعت هارولان يقول "أجل.. أخيراً وصلنا.."

أعادها صوته لواقعها فالتفتت تنظر إليه لترى النظرة التي أرعبتها سابقاً تظهر من جديد، فقالت وهي تبعد ناظريها عنه "الآن، كيف يمكننا الدخول إليها مع كل الحراسة التي على أبوابها؟"

قال هارولان "لن يتعرفك أحد بتنكرك هذا، فأنت لا تشبهين الملكة بي ناريا في شيء.."

قالت بقلق "لكن.. سيدركون أنك هيماني ما إن تفتح فمك.. وعندها سنقع في ورطة شديدة.."

أجابها "ليست لدينا طريقة أخرى.. يجب أن نتحایل على الحراس وندخل المدينة.. فقد تأخرنا بما فيه الكفاية.."

تساءلت "أنتظن أمر الثوار انكشف في المدينة؟ لقد مضى يومان منذ انفصلنا عنهم، وأمر مانيم القبض على أي

هيماني خارج هيمانيا دليل استعداداه لقدمكم.."

أجاب هارولان "الساعات القادمة ستبين لنا الأمر كله.."

ظلت بي ناريا في مكانها تتطلع إلى مدينتها الحبيبة بمزيج اللهفة والقلق.. لهفة للعودة إلى المكان الذي لا

تنتمي إلا إليه، وقلق مما قد تواجهه حتى تستعيد ما فقدته.. ثم تنهدت ولكزت التوكور لينطلق باتجاه البوابة

الضخمة للمدينة، والطريق الحجري المؤدي إليها.. وكلما اقتربا، لاحظا الزحام المتزايد قرب البوابة.. مئات

العربات والمركبات، وقربهم المئات من المشاة الذين تنحوا عن الطريق ليجلسوا بجانبه بحثاً عن الراحة، مكومين

أغراضهم بجانبهم..

قطبت بي ناريا متسائلة "ما الأمر؟ الزحام نادر الحدوث قرب بوابات المدينة.. يبدو أن أمراً ما استجد"

لم يعلق هارولان وهي تقود التوكور وسط الزحام لينسل بين العربات والمركبات بحجمه الصغير.. وعند اقترابهم

من البوابة، تناهى إلى سمعهم صراخ دائر بين اثنين وجمع من الناس يحيطون بهما.. رأت بي ناريا صاحب

أحد العربات المحملة بأنواع مختلفة من الأغذية يصيح في أحد الجنود عند البوابة بلا خوف.. كان يقول بحنق

شديد "حتى متى؟ بضاعتي ستفسد حتى يرفع الحظر عن المدينة.. فماذا أنتم فاعلون بشأن هذا؟ كيف

ستعوضونني؟"

قال له الجندي بصرامة "هذه هي أوامر الملك ولا يمكن أن نحيد عنها لأي كان.. ولا يهمننا ما سيحل ببضاعتك..

ابتعد وعد أدراجك فهذا أفضل لك.."

صاح الرجل "ما الذي سيجنيه الملك من منع دخولنا إلى المدينة؟ لماذا هذا التشديد غير المنطقي؟"

عاد الجندي يقول بصرامة أشد "إنها أوامر الملك.."

فقال الرجل بسخرية "ألا تملك إلا ترديد هذا القول كالآلة؟ تنحى عن طريقي فسأدخل مهما اعترضتم.."

وتقدم جاذباً التوكور الذي يجر العرب، لكن تلقفه الجندي بضربة قوية من سلاحه أوقعته للوراء، وتقدم عدد من

الجنود من الرجل ليوسعوه ضرباً وركلاً بالإضافة إلى إلقاء ما تحويه العرب من صناديق تحت أقدامهم دون أن

يجرؤ شخص ما على التدخل، بل تراجعوا بشيء من الخوف مكتفين بالفرجة.. أما هارولان فقد تمتم بغیظ "هذا

مما يزيد من رصيد مانيم عندي.. وهو رصيد آخذ بالتضخم كل ثانية"

لم تعلق بي ناريا والحنق يغزوها بدورها مما تراه.. لم تكن هذه المناظر مما تحبها، فهي مهما كانت متشددة

إلا أنها لم ترض بالظلم يوماً، ولم تتوانى عن معاقبة مرتكبيه..

وجدت هارولان يتناول لجام التوكور من يدها ويقوده بعيداً عن التجمع بصمت، فتسائلت بدهشة "إلى أين؟ يجب

أن نحاول دخول المدينة دون إبطاء.."

أجاب بعد أن ابتعدا من التجمع "مادام مانيم قد وضع حظراً على دخول المدينة، فلا يمكننا لفت الأنظار بمحاولة الدخول إليها عنوة.. سندخل، لكن ليس عبر هذه البوابة"
صمتت ودهشتها متعظمة.. مادام أمر مانيم يطبق دون استثناء فهذا يعني أنه سار على جميع البوابات.. فمن أين يمكنهم دخول المدينة وأي طريق بدون المرور بالبوابات هو المستحيل بعينه؟..
